مسرحية ساقطة هابطة بكل ما تعنيه الكلمة ، معروف نهايتها ودور كل ممثل فيها بالضبط ، هجوم من الداعمين ، ثم اعتراض ووعيد ، ثم تمنع وتهديد ، ثم رضا ومباركة وتسليم ، وذلك كله في أقل من أسبوع ، ثم يصفق البلهاء فرحا برحيل الطاغية وانتصار العدالة وعودة الحق ، فحق لأمريكا وإيران أن تفرحا ببلهاء أهل السنّة في العراق الذين يصدقون كل هذه الترهات .

فلم يعد يخفى على كل ذي عقل ولُبّ أن لعبة تغيير الأسماء في المناصب السياسية الحساسة , وتبديل الشخصيات والدمى التي تنفذ أجندة إقليمية ودوًلية محددة ومرسومة , لا يعني من قريب أو بعيد حدوث أي تغيير في السياسة العامة في تلك الدولة ؛ وإنما يعني إزاحة شخص احترق سياسيا بآخر , لاستكمال نفس السياسة السابقة بأسلوب آخر وبشخصيات سياسية جديدة.

إنها لعبة سياسية قديمة ابتدعها الأمريكان منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ورثوها من أساتذة المكر والدهاء ؛ الانجليز ، إنها لعبة " تبادل الجياد " وتقوم فكرتها الأساسية على الاعتماد على العملاء والوكلاء الذين يحكمون بلادهم بالوكالة نيابة عن الأمريكان، فتكون إدارتهم لبلادهم أشبه بالاحتلال غير المباشر، فلا يخرجون أبدًا عن فلك السياسة الأمريكية وخطوطها المرسومة ونطاقاتها المحجوزة. وفي حالة فقدان أحد العملاء والوكلاء الأمريكان لكفاءته وخبرته الإدارية التي تضمن السيطرة والهيمنة الأمريكية على هذه البقعة؛ فإنه يُتخلى عنه فورًا ويدخل حظيرة التقاعد الأمريكية ، وتقوم أمريكا باستبداله فورًا بغيره من العملاء والوكلاء القادرين على حماية المصالح الأمريكية وتنفيذ أجندتها في المنطقة، أي إذا تعب جواد ولم يعد قادرًا على مواصلة الركض، وركبوا جوادًا آخر مازال في عافيته ولياقته، فيواصل الركض خدمة لرغبات السيد الأمريكي. هذه السياسة اتبعها الأمريكان مع رضا بهلوي شاه إيران وجمال جورسيل التركي وهيلاسياسي الحبشي ومبارك المصري وزين العابدين التونسي وكثير قبلهم وبعدهم، ما دام هناك جياد تركض ، وأطماع تقتل ، وشعوب تثور. فإن اللعبة مستمرة ، وقد حان دور قد حان المالكي ليلحق بركب أسلافه .

المالكي شخصية مغمورة لا يعرف له إرث في العمل السياسي ، ولا النضال الوطني ، ولا الكفاءة الإدارية ، ولا الشهادات العلمية ، شخصية مغمورة ولكن جمعت بين جنباتها خليطا من الصفات والأخلاق نُدر أن تتجسد في شخص واحد ،بحيث لا توجد هذه التركيبة النفسية والعقلية والسياسية متمثلة في رجل واحد، فهو خليط من انتهازية سياسية ، وطائفية دينية ، وعصبية حزبية ، وطموحات ديكتاتورية ، وأطماع دنيوية ، واستبدادية سلطوية، شديد التلون سريع التحول، يجيد اللعب على كل الحبال، فهو علماني صريح مع أمريكا وأوروبا، وصفقاته واتفاقياته و5,2 مليون برميل بترول يوميًا تستقبلها المصانع الأمريكية تشهد على ذلك، وطائفي بغيض مع أهل السنة في العراق، وجرائمه الوحشية ومجازره البشعة بحقهم واضطهاده الشديد ومعتقلاته المليئة برجال ونساء السنة وإقصاؤه السياسي التام لهم يشهد على ذلك، وعميل إيراني مخلص ، وفيلق القدس، وقاسم سليماني، وجيش بدر، وعصائب الحق، والمراكز الثقافية والتجارية والاقتصادية والبضائع الإيرانية التي تغزو الأسواق العراقية تشهد على ذلك، وعدو لدود لكل دول الجوار،وتركيا والسعودية بالأخص تشهد على ذلك، ومهووس بالسلطة ضد أي خصم سياسي مهما كان انتماؤه، ومقتدى الصدر وعمار الحكيم وأسامة النجيفي وصالح المطلك وطارق الهاشمي ومسعود البارزاني وأخيرًا و العيساوي يشهدون على ذلك، سريع التخلي عن حلفائه وأصدقائه في سبيل مصالحه الخاصة، والمتحدث باسمه وحليفه الوثيق المدهوس بإحدى سياراته "علي الدباغ" يشهد على ذلك . فهل تعلمون رجلا تتوافر فيه كل هذه الصفات والخصال والأخلاق ؟!

أمريكا وإيران راهنتا على المالكي لدورتين متتاليين ، ودعمتاه حتى في الدورة الانتخابية الثالثة ، فالرجل لا نظير له ، تحولت العراق تحت حكمه إلى بلد ترانزيت ، يستفيد منه الجميع إلا العراقيين أنفسهم ، منجم ذهب للأمريكان يسرقون ثرواته النفطية ، ومركز بث وتصدير للعقائد الشيعية الرافضية ، وبؤرة قلاقل مستمرة لدول الجوار ، وممر آمن للمساعدات الروسية والإيرانية لكلاب خامنئي النابحة في سوريا ولبنان . ولكن حمقه الطائفي جعل مخططات التقسيم الأمريكية والإيرانية في خطر ، فالمالكي جاء بأجندة تقسيم للعراق الكبير ، إلى ثلاثة كيانات طائفية عرقية متناحرة ، ولكن حقده الرافضي حوّل أحلام دولة آل البيت إلى كوابيس مخيفة بسبب هبة أهل السنّة

بجميع أطيافهم ومكوناتهم ضد طغيانه وجرائمه الطائفية البشعة ، فثار أهل العراق ، وظهرت " داعش " بكل ما تملكه من خبرات قتالية متراكمة منذ الاحتلال السوفيتي لأفغانستان ، وظهرت العشائر العربية بأعدادها الكبيرة وموروثاتها الثقافية التي تأبى الضيم ، وظهرت بقايا الجيش العراقي القديم الذي اشترك في القتال ضد إيران في الثمانينيات ، والجميع على اتفاق تام بضرورة الإطاحة بالمالكي ووقف مخططاته الآثمة نحو تقسيم العراق ،وشرعت داعش في تفجير حدود سايكس ـ بيكو الجديدة والقديمة على حد السواء ، ومن ثم كان حتما لازما على السادة في طهران ونيويورك التخلص من هذا الجواد المزعج .

حيدر العبادي هو الجواد الجديد الذي يراهن عليه الأمريكان والإيرانيون معا على استكمال ما بدأه المالكي قبل أن تنتهي صلاحيته وينفد رصيده ، ولكن هل يستطيع البغدادي أن يصل ما أفسده المالكي ؟ بل السؤال الأهم هل يختلف البغدادي كثيرا عن المالكي ، حتى يقال أن العراق سيتغير على يديه ؟

العبادي شخص لا يختلف كثيرا عن المالكي ، بل يكاد أن يكون مالكيا جديدا ، ولكن في نسخته المخففة والمعدلة . فهو من مواليد بغداد عام 2591، ونشأ وسط عائلة شيعية متدينة تقطن في منطقة الكرادة الشرقية معقل الشيعية بالعاصمة بالتجارة ، وتلقى التعليم في مراحله الدراسية الأولى في بغداد، ونال البكالوريوس من الجامعة التكنولوجية فيها قسم الهندسة الكهربائية عام 5791.هاجر من العراق بداية السبعينات لإكمال دراسته في بريطانيا، وحصل على الماجستير عام 7791، ثم الدكتوراه عام 1980 من جامعة مانشستر البريطانية، في تخصص الهندسة الكهربائية، وبقي في لندن منذ ذلك الحين، حتى عام 2003 الذي عاد فيه إلى العراق ، من مع عاد على ظهور الدبابات الأمريكية . انتمى لحزب الدعوة الذي ينتمي إليه المالكي منذ سن المراهقة ،واختير مسئولًا لتنظيمات الحزب في بريطانيا عام 7791، وحصل على عضوية القيادة التنفيذية للحزب عام .1979 وفي عام 1980 اختير مسئولا لمكتب الشرق الأوسط لحزب الدعوة، الذي كان مقره في بيروت، إلا أنه بقي يدير المكتب من لندن، ما ولد إشكالات داخل الحزب أدت إلى استبداله، وسمى حزب الدعوة لاحقاً العبادي متحدثًا باسمه، لكنه لم يظهر إلى الإعلام خلال الفترة الماضية بشكل كبير.

وخلال مسيرته في العراق منذ الاحتلال الأمريكي للعراق عام 3002، تسلم منصب وزير الاتصالات في الحكومة الانتقالية التي ترأسها إياد علاوي، وكان أدائه سيئا للغاية حتى وُصف بأنه أحد أسوأ وزراء حكومة علاوي، ثم نائبًا في البرلمان عام 2006 وحتى اليوم، كما ترأس لجنة الاقتصاد والاستثمار النيابية في برلمان 5002، واللجنة المالية في برلمان 0102، مما وثق علاقاته بصورة كبيرة مع الأمريكان والإيرانيين .

وبجولة سريعة في ملف أحوال العبادي نجده لا يختلف كثيرا عن المالكي حتى يقال أنه الرجل الذي سيصلح ما أفسده حمق المالكي الطائفي ، فكلاهما سياسي مغمور جاء على خلفية تفاهمات سياسية بين القوى الفاعلة في العراق ، وكلاهما أقام خارج العراق لسنوات طويلة و متأثر بالغرب من حيث الثقافة والدراسة ، وكلاهما لم يعد إلى العراق إلا على ظهر الدبابات الأمريكية ، وكلاهما ينتمي لنفس الحزب ـ حزب الدعوة ـ ونفس الائتلاف السياسي ـ ائتلاف دولة القانون ـ ، والأهم من ذلك كلاهما يدين بالولاء التام للمرجعيات الشيعية ، ولعل صوره المتداولة هو ينحني راكعا كي يقبل يد " خامنئي " خير شاهد على مدى تعظيمه لمرشد الثورة الإيرانية .

الأمريكان والإيرانيون يريدون أن يغسلوا أيديهم من قذارات المالكي الطائفية وجرائمه البشعة بحق الشعب العراقي عموما ، وأهل السنّة خصوصا ، بحيث تكن المشكلة كلها في شخص المالكي ، ومن ثم تخلصنا منه ، هكذا يريد أن يقول الأمريكان والإيرانيون ، وذلك لخديعة أهل السنّة ، وإطفاء حماسة الثورة عندهم حتى يعود للعملية السياسية مرة أخرى ، كما حدث من سنة 2007 ، كأن شيئا لم يكن خلال السبع سنوات الماضية ، كأن عشرات الآلاف لم يقتلوا ويشردوا من أهل السنّة خلال هذه المدة ، وكأن أهل السنة مثل القروي الساذج الذي يباع له الترام مرتين ، ثم يراد منه أن يشتريه للمرة الثالثة . العبادي لن يأتي بجديد ، العبادي جاء لتلطيف الأجواء وتغيير الوجوه ، لا لتغيير السياسات والممارسات والاستراتيجيات ، العبادي جاء لخديعة أهل السنّة ، وإعادة الروح في مليشيات الصحوات العميلة من أجل التصدي لداعش وأخواتها بالأنبار . العبادي لن يصلح ما أفسد المالكي ، لأن ما أفسده المالكي هو عين ما خطط له الأمريكان والإيرانيون لهذا البلد الكبير . فهل يبتلع أهل السنّة الطعم ؟ أم يدركوا طبيعة

المؤامرة وتستمر ثورتهم حتى ترد إليهم حقوقهم الضائعة ؟

كاتب المقالة : شريف عبد العزيز
تاريخ النشر : 19/08/2014
من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com